مـــــدارات

عائشـــــة ســـالم

الاستدامة تبدأ بالإنســـــــــــــان

لا أحد يريد أن يعيش في مدينة مختنقة، أو يشرب ماءً ملوثاً، أو يرى أبناءه يمرضون بسبب الهواء. لكن الحل لا يبدأ من القوانين وحدها، بل من تربية النشء على قيم البيئة. فعندما يكبر جيل يرى البيئة أولوية، ينعكس ذلك صحةً وهواءً نقياً وموارد تدوم للجميع.

وهذا لا يحدث بالصدفة، بل عبر مثلث متكامل: البيت، المدرسة، المجتمع.

في البيت، تبدأ الحكاية بالقدوة. الطفل الذي يرى والديه يرشدان استهلاك الماء والكهرباء، ويفرزان النفايات، ويقللان الهدر، ويعيدان استخدام ما يمكن استخدامه، يتعلم أن هذه السلوكيات جزء طبيعي من الحياة وليست استثناءً. وعندما يكبر، لن يتعامل مع البيئة باستهتار، لأنه ببساطة لم يعتد على ذلك. هنا تُزرع البذرة الأولى لاحترام الموارد، لتتحول لاحقاً إلى ثقافة مجتمعية تخفّض التلوث وترفع كفاءة الاستهلاك.

ثم تأتي المدرسة، حيث يتحول السلوك الفردي إلى وعي جماعي. ما يتعلمه الطفل في المنزل، يطبقه في المدرسة من خلال مبادرات توعوية، ومشاريع لإعادة التدوير، وأنشطة تعزز المسؤولية البيئية والعمل الجماعي. هناك يدرك أن حماية البيئة ليست مسؤولية فرد واحد، بل مسؤولية الجميع. وعندما يكبر بهذا الوعي، يصبح جزءاً من مجتمع يتعاون على تقليل أثره البيئي ويحسن جودة حياته.

أما المجتمع، فهو مساحة التأثير الحقيقي. عندما ينخرط الشباب في مبادرات بيئية، وحملات توعية، وبرامج من خلال التطوع والشراكة مع الجهات الحكومية والخاصة، يشعر أن له دوراً حقيقياً. هنا يتحول من متلقٍ إلى مبادر، ومن متعلم إلى قائد. والمجتمع الذي يمنح أفراده فرصة المشاركة في العمل البيئي، يحصد في المقابل سلوكاً عاماً أكثر وعياً، وموارد تُدار بكفاءة أعلى.

من هذا التكامل، تبرز دولة الإمارات كنموذج متقدم يترجم الفكرة إلى واقع. فهي لا تكتفي بوضع الاستراتيجيات، بل تعمل على ترسيخ الممارسات البيئية في الحياة اليومية للأفراد. حيث يتم دمج مفاهيم الاستدامة في التعليم، وتعزيز سلوكيات مثل ترشيد استهلاك الموارد، وتقليل النفايات، وإعادة التدوير، ورفع كفاءة الطاقة، ضمن منظومة متكاملة تصنع وعياً عملياً لا نظرياً. ويمتد هذا التوجه إلى الجامعات التي تحرص على تأهيل الشباب لقيادة التحول نحو الاقتصاد الأخضر، من خلال برامج في ريادة الأعمال البيئية، ووظائف المستقبل المرتبطة بالطاقة النظيفة والاستدامة. كما تتكامل هذه الجهود مع مبادرات وطنية في مجالات الطاقة المتجددة، وإدارة النفايات، وكفاءة استخدام الموارد، بما يعزز فهماً شاملاً للاستدامة بوصفها منظومة مترابطة.

هذه المقاربة تؤكد أن البيئة ليست ملفاً منفصلاً، بل ثقافة تبدأ من سلوك الفرد، وتتعمق في التعليم، وتتجسد في مبادرات مجتمعية، لتصل في النهاية إلى سياسات ومشاريع وطنية تصنع أثراً مستداماً.

وعندما تتكامل أضلاع هذا المثلث، يظهر الأثر الحقيقي. لن ترى أفراداً يهدرون الموارد، بل يديرونها بوعي. ولن ترى مجتمعاً ينتظر الحلول، بل يصنعها. وعندما يكبر هذا الجيل، سيقود مؤسسات أكثر مسؤولية، ويصمم مدناً أكثر استدامة، ويتخذ قرارات تحمي البيئة وتضمن استمرارية الحياة.

الوعي البيئي استثمار مباشر في جودة الحياة. فالبيئة النظيفة تعني صحة أفضل، وضغوطاً أقل، ومستقبلاً أكثر استقراراً للأجيال القادمة.

وفي الختام نقول فخورون بالإمارات.